الفصل الثاني

مجالس الجدال والمناظرات

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

مجالس الجدال والمناظرات

جرت بين رسول الله ﷺ والوفود من نصارى نجران عدة مناقشات ومناظرات شملت موضوعات عدة أهمها ما يتعلق بالعقيدة النصرانية.

وقبل الحديث عن تفاصيل هذه المناظرات وما جرى فيها أود أن نقف عند عدة نقاط.

١- معنى الجدل، ومعنى المناظرة والفرق بينهما

الجدل في اللغة: كلمة (الجدل) في الأصل تعني الشدة والإحكام والقوة.

فالجدل - بسكون الدال - شدة الفتل، وجدلت الحبل إذا شددت فتله، وجدل الشيء يجدله جدلاً: أحكم فتله) [(١)].

والجدل من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام [(٢)].

والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها.

رجل جدل أي شديد الجدال.

---

(١) لسان العرب باب (جدل).

(٢) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٣٣ تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الثانية. ط الحلبي ١٩٦٩م.

ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام.

والجدل: شدة الخصومة ومقابلة الحجة بالحجة.

والمجادلة المناظرة والمخاصمة [١].

والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

وقيل الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة [٢].

أما التعريف الاصطلاحي للجدل فهو - كما ذكر الجرجاني - دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة. أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة [٣].

أما الخوارزمي فقال في تعريف الجدل: هو تقرير الخصم على ما يدعيه من حيث أقر حقًّا كان أو باطلاً، أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعاند مجادله لاشتهار مذهبه ورأيه فيه. لأنه يزري على مذهبه ورأيه فيه [٤].

والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات

(١) لسان العرب باب (جدل).

(٢) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن ص ٨٩، ٩٠ تحقيق محمد سيد كيلاني ط دار المعرفة بيروت.

(٣) وقال أيضًا الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات. راجع الجرجاني: التعريفات ص ٧٤ دار الكتب العلمية ط الأولى ١٩٨٣م بيروت.

(٤) الخوارزمي: الحدود الفلسفية (فصول متنوعة من كتاب مفاتيح العلوم) ضمن مجموعة في كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب ص ٢٢٦ دراسة وتحقيق وتعليق د/ عبد الأمير الأعسم. الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ثانية ١٩٨٩م القاهرة.

البرهان [١].

والجدل إما أن يكون محمودًا أو مذمومًا. فإن كان لأجل إظهار الحق فإن ذلك محمود ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل :١٢٥] .

أما إذا قصد به الغلبة والجدل على الباطل فهو المذموم.

وذلك قوله تعالى ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر :٥] .

وقوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج :٣] .

ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]» [٢].

معنى المناظرة: أصلها من النظر ومعناه: تأمل الشيء ومعاينته [٣]، أو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته. وقد يراد به التأمل والفحص. وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهي الرؤية [٤].

والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته [٥].

---

(١) التعريفات ص ٧٤ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٦٦٠، ٢١٧٠١) من حديث أبي أمامة الباهلي ج ٥ ص ٢٥٢، ٢٥٦، ابن ماجه: المقدمة باب اجتناب البدع والجدل.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٤٤٤ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٤٩٧ .

(٥) السابق ص ٤٩٨ .

أو أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيانه [١].

والمناظرة اصطلاحًا: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب [٢].

أما الفرق بين الجدل والمناظرة فهو كما يلي:-

المناظرة: (يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه).

أما الجدل: (فيكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال) [٣].

والمناقشة قد تكون في بدايتها مناظرة ثم تنقلب جدلاً وربما يتطور الأمر إلى مكابرة ويكون الغرض منها اجتياز المجلس والشهرة، أم مطلق اللجاجة، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلاً [٤].

ولا شك أن الجدل المأمور به لا تنطبق عليه هذه الصفات المذمومة.

ب - أمر الله لرسوله بجدال أهل الكتاب

دعا النبي ﷺ الناس إلى الإيمان بالله و حده لا شريك له، وإلى تصديقه فيما يدعو إليه من دين الله وشريعته. مبينًا أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن شريعته جاءت ناسخة للشرائع السابقة.

---

(١) لسان العرب باب (نظر) راجع أيضًا تاج العروس ج ١٦ باب نظر.
(٢) التعريفات ص ٢٣١، ٢٣٢ .
(٣) الإمام محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل ص ٥ . ط ثانية. دار الفكر العربي ١٩٨٠ م القاهرة.
(٤) نفسه نفس الصفحة.

والإيمان بالله وبالرسول يقتضي الإيمان بالأنبياء والرسل السابقين ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافرًا. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٣] .

ولذلك دعا النبي ﷺ أهل الكتاب إلى الإيمان بدعوته وتصديقه، لكنهم أعرضوا ولم يستجيبوا له - إلا من هداهم الله - رغم أنهم كانوا على علم ببعثته، وعلى معرفة بتصديقه، ورغم أن اليهود كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا (فكانوا يقولون لهم إن نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم) [1] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٨٩] .

كفروا به وأعرضوا عنه حسدًا، وعادوه كبرًا، ولم يؤمنوا بدعوته بغيًا، بل وجادلوه وناقشوه وزين لهم الشيطان زخرف القول غرورا.

(١) السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٥٠ .

اندفع اليهود لمجادلة النبي ﷺ وسائر المسلمين، وناقشوهم مناقشة دينية أخذت أولاً دورًا دينيًّا هادئًا - كما يقول الشيخ أبو زهرة - ثم أخذت من جانبهم سبًّا واستهزاءً وخيانة حتى اضطر النبي ﷺ إلى إجلاء بعضهم، ومحاربة الآخرين.

وفي دور المجادلة كانت المجادله واسعة النطاق غير محدودة؛ لأن النبي ﷺ كان يخاطب أقوامًا يقرون بكتاب ويؤمنون برسل، فالنبي كان يلزمهم بما جاء في كتبهم، وينعي عليهم مخالفتهم لما جاءت به رسلهم، وهم كانوا لعلمهم بالكتاب يوجهون أسئلة فيها شيء من الدقة والمعرفة وإن كانوا ضالين (١).

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى دين الله وأن يجادلهم إن استدعى الأمر لذلك، وأرشده إلى الجدال بالحسنى.

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل :١٢٥].

وقال سبحانه ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت :٤٦].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن جدال أهل الكتاب منسوخ بآيات القتال.

قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآيات السيف (٢).

---

(١) تاريخ الجدل ص ٨٩.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة :٥] وقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

ولم يبق معهم جدال وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.

وقال آخرون: بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه كما قال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل :١٢٥] وهذا القول اختاره ابن جرير وغيره، وهو قول أكثر المفسرين [١].

وهو الصحيح لأن النصوص القرآنية جاءت بمحاورة المشركين وأهل الكتاب وأمرت بمجادلتهم ولأن النبي ﷺ جادلهم [٢].

ولأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر أو حجة من معقول [٣].

وقد ناقش ابن جرير القائلين بنسخ الآية فقال (لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال وزعم أنها منسوخة، لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة وعقل، وقد بينا في غير موضع من كتابنا أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل) [٤]. وزاد ابن العربي على هذا بقوله (هذه الآية ليست منسوخة وإنما هي مخصوصة لأن النبي ﷺ بعث باللسان يقاتل به في الله، ثم أمره الله بالسيف واللسان

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١٥، أحكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٢١٧، تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٥٠ .

(٢) خالد بن عبد القاسم: الحوار مع أهل الكتاب ص ١٧٩ دار المسلم ط أولى ١٤١٤ الرياض.

(٣) تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٥٠ .

(٤) تفسير الطبري مج ٨ ج ٢١ ص ٣ ط دار الفكر.

حتى قامت الحجة على الخلق لله. وتبين العناد، وبلغت القدرة غايتها عشرة أعوام متصلة، فمن قدر عليه قتل، ومن امتنع بقى الجدال في حقه ولكن بما يحسن من الأدلة ويجمل من الكلام، بأن يكون منك للخصم تمكين، وفي خطابك له لين، وأن تستعمل من الأدلة أظهرها وأنورها، وإذا لم يفهم المجادل أعاد عليه الحجة وكررها [١].

وقد رد ابن تيمية على القائلين بأن آيات السيف ناسخة للجدال بوجوه تسعة منها قوله (وإذا كان النبي ﷺ يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغه رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة، ويجاب به عن المعارضة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، عُلم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقًا) [٢].

إن النبي ﷺ جادل أهل الكتاب والكفار (ولم يزل في جدالهم - كما يقول ابن القيم في تعليقه على قصة نصارى نجران - على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجادلهم بالتي هي أحسن في السورة المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة وبهذا قام الدين وإنما جعل السيف ناصرًا للحجة، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبيّناته وهو سيف رسول الله وأمته) [٣].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١٤٨٧ .

(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٢٣١، ٢٣٢ . تحقيق د/ علي ابن حسن بن ناصر. مع آخرين. ط أولى دار العاصمة للنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ السعودية.

(٣) زاد المعاد ج ٣ ص ٦٤٢ .

ويقول أيضًا: (-في فقه قصة أهل نجران - جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه وإقامة الحجة عليهم) [١].

وقد شارك ابن حجر ابن القيم في هذا الحكم الذي انتهى إليه حيث قال في دلائل قصة أهل نجران (وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته) [٢].

ويقول فخر الدين الرازي - في تعليقه على مناظرة النبي لنصارى نجران - اعلم أن هذه الرواية دالة على أن المناظرة في تقرير الدين وإزالة الشبهة حرفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [٣].

جـ: الوفود التي شهدت المناظرات وبعض المناقشات التي دارت بين الحاضرين من اليهود والنصارى

يبدو أن مجالس هذه المناظرات لم تكن بمعزل عن الناس حيث حضرها أطراف عديدة من المسلمين واليهود والنصارى.

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة (ومما نكاد نجزم به أن جلسات المناظرة كانت حاشدة إذ شهدها أعضاء الوفود، وشهدها فريق كبير من المسلمين أو كبارهم، ولعل بعض اليهود كانوا من شهودها، وفي بعض الآيات ما قد يلهم أنهم حاولوا أن يتدخلوا أو يدسوا) [٤].

---

(١) السابق ج ٣ ص ٦٣٩ .

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٩٥ ط دار الفكر.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب مج ٣ ج ٧ ص ١٢٩ .

(٤) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ج ٢ ص ٢٣٨ ط على نفقة أمير قطر، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية الدوحة ١٤٠٠ ط ثالثة.

لقد ذكرت الروايات حضور الكثير لهذه المناظرات، ومنهم اليهود الذين أرادوا أن يستغلوا الموقف ويبثوا أحقادهم ويظهروا مكائدهم، جادلوا النصارى في بعض مسائل العقيدة، وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم. كل فريق يكفر بما في يد صاحبه ويدعى أنه على الحق ولن يبرحه.

قال ابن إسحاق (ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة :١١٣]) (١).

وتنازعوا أيضًا في إبراهيم عليه السلام فاليهود يدعون أنه يهودي وأنهم على دينه بينما يدعى النصارى أن إبراهيم عليه السلام ما كان إلا نصرانيًا.

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس (اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقال الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا. فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ

(١) السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٥٦ .

حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :٦٥-٦٨]) (١) .

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران :٤٤] أي ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم؟ أو أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه؟ وهذا تجهيل لهم في تلك الدعوى وتحميق. وهو ظاهر إن كانوا قد ادعوا أن إبراهيم عليه السلام منهم حقيقة.

وإن كان مدعاهم أن دين إبراهيم يوافق دين موسى أو دين عيسى فهو يهودي أو نصراني بهذا المعنى فتجهيلهم ونفي العقل عنهم بنزول التوراة والإنجيل بعده.

وقيل أيضًا ربما يكون قولهم ذلك على سبيل التعنت والعناد ليغيظ كل منهم صاحبه أو ليوهموا بعض المؤمنين ظنًّا منهم أنهم لكونهم أميين غير مطلعين على تواريخ الأنبياء السالفين يزلزهم مثل ذلك ففضحهم الله تعالى.

أو أن القوم في حد ذاتهم جهلة لا يعلمون وإن كانوا أهل كتاب.

وقيل إن مراد اليهود بقولهم: إن إبراهيم عليه السلام كان يهوديًّا أنه كان مؤمنًا بموسى عليه السلام قبل بعثته، وأن مراد النصارى بقولهم: إن إبراهيم كان نصرانيًّا نحو ذلك، فرد الله عليهم بقوله ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [آل عمران :٦٥] أي ومن شأن المتأخر أن يشتمل

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٣٨٤، السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٦٠ .

على أخبار المتقدم لا سيما مثل هذا الأمر المهم، والمفخر العظيم، والمنة الكبرى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة :٤٤] ما فيهما لتعلموا خلوهما من الإخبار بيهوديته ونصرانيته اللتين زعمتموهما [١] .

ويبدو أيضًا أن اليهود تدخلوا في بعض المناظرات التي كانت بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران. فقد روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي [٢] - حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام-: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الربيس [٣]: أوذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا؟ أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره! ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني. أو كما قال [٤].

فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠] .

---

(١) الألوسي: روح المعاني ج ٣ ص ١٩٤، ١٩٥ . مكتبة دار التراث.

(٢) أبو رافع القرظي هو سلام بن أبي الحقيق اليهودي.

(٣) الرِّبِّيس (بكسر الراء وتشديد الباء المكسورة) وربيس السامرة: هو كبيرهم.

(٤) راجع تفسير الطبري ج ٦ ص ٣٥٩، السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٦٠، دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٨٤، زاد المعاد ج ٣ ص ٣٦٠، ٣٦١ .

موضوعات الجدل

كانت الوفود من نصارى نجران تأتي إلى رسول الله ﷺ وتجادله وتناظره، وكانت الموضوعات الأساسية في العقيدة النصرانية هي محور المناظرات وأساس الحوار.

وقد وضح لنا مما سبق أنهم جاءوا إلى الرسول ﷺ أكثر من مرة وأنهم كانوا يغدون ويروحون ويسألون ويناقشون ويجادلون. مما يعني أنهم كانوا يأتون وهم مستعدون أتم الاستعداد لهذه المواجهات أو المناظرات، خاصة وأن الأمر يتعلق بكيانهم الديني، وهويتهم ومدى شرعيتها وقدسيتها بالقياس إلى ما يعتقدون من كونها دينًا سماويًا.

ويبدو أنهم جادلوا النبي ﷺ في موضوعات عديدة وناقشوه في مسائل كثيرة أغلبها يتعلق بالعقيدة النصرانية.

ابن إسحاق حينما ذكر خبر هذا الوفد لخص عقائد النصارى واعتبر هذا بمثابة الحديث عن موضوعات المناظرات. أي كأنه يقول إن المناقشات لن تخرج عن دائرة هذه العقائد.

وهذا تخلص من ابن إسحاق. لكننا نرى أن ذكر تفاصيل المناقشات أمر مطلوب ومهم وخاصة في مثل هذه المواقف. هذا بالإضافة إلى أنه ليس بلازم أن تكون كل هذه العقائد هي محور الجدال. فربما دارت المناقشات حول الأسس التي تقوم عليها العقيدة النصرانية أو أنها دارت حول بعضها.

يقول ابن إسحاق: (وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾.

ويحتجون في قولهم: «إنه ولد الله» بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم. وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إلا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت، ولكنه هو وعيسى بن مريم [١]. ففي كل ذلك من

(١) قال السهيلي في مناقشته لاحتجاجهم بقول الله (خلقنا، وأمرنا، وأشباه ذلك): (هذا من الزيغ بالمتشابه دون رده إلى المحكم نحو قوله ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والعجب من ضعف عقولهم: كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد، وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه، لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به مجاز عربي، وليس هو لفظ التوراة والإنجيل، وأصل هذا المجاز في اللغة العربية أن الكتاب إذا صدر عن حضرة ملك كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجمع دلالة على أنه كلام ملك متبوع على أمره وقوله، فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام.

وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك، وليس هذا في غير اللسان العربي ولذلك نجد الأمر يختلف إذا أخبر عن قول قاله لنبي قبلنا، أو خاطب به غيرنا نحو قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ولم يقل: خلقنا بأيدينا. كما قال: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، وقال حكاية عن وحيه لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ ولم يقل كما قال في الآية الأخرى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، لأنه أخبر عن قول قاله لم ينزل بهذا اللسان العربي ولم يحك لفظًا أنزله، وإنما أخبر عن المعنى، وليس المجاز في المعنى، وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا، ولا ارحموني، ولا عليكم توكلت، ولا إليكم أنبت، ولا قالها نبي قط في مناجاته ولا نبي في دعائه لوجهين:

أحدها: أنه واجب على العبد أن يشعر قلبه بالتوحيد، حتى يشاكل لفظه عقده.

الثاني: ما قدمناه من سير هذا المجاز، وأن سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب في هذا الأسلوب من كلامها، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها، ولا ننظر لقول من قال في هذه المسألة، وبذلك روجعوا، يعني: بلفظ الجمع، واحتج بقوله سبحانه خبرًا عمن حضره الموت من الكفار إذ يقول: رب ارجعون، فيقال له: هذا خبر عمن حضرته الشياطين ألا ترى قلبه: وأعوذ بك رب أن يحضرون، فإنما جاء هذا حكاية عمن حضرته الشياطين وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلوقين فلذلك خلط فقال: رب، ثم قال: ارجعون، وإلا فأنت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ في مخاطبة الرب سبحانه: هل قلت قط في دعائك: ارحمون يا رب وارزقون؟!) راجع الروض الأنف ج ٣ ص ١٢، ١٣.

قولهم قد نزل القرآن [١].

هذا إجمال وتلخيص لعقائد النصارى - ومنهم نصارى نجران - وسوف تناقش هذه العقائد فيما بعد من خلال المناظرات التي جرت بينهم وبين النبي ﷺ.

والواقع أن إجمال موضوعات المناظرات بهذه الصورة يحتاج إلى مزيد من التفصيل ولذلك قمنا بالبحث في كتب السيرة والتفسير والدلائل عن النصوص المتعلقة بتلك المناظرات حتى نستطيع أن نقف على الموضوعات المثارة أثناء الجدال مع نصارى نجران.

وبالفعل وجدنا روايات متعددة في هذه الكتب تتحدث بالتفصيل عما دار خلال هذه المناظرات.

هذا بالإضافة إلى أننا يمكننا أن نستنبط أهم الموضوعات من خلال الآيات التي نزلت على رسول الله ﷺ بسبب هذا الوفد وهي صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية. أي أن البحث عن موضوعات المناظرات يمكن أن يكون في أمرين:

١- الروايات التي رويت عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين فيما يتعلق بهذا الوفد.

٢- الآيات القرآنية التي نزلت على رسول الله ﷺ بسبب هذا الوفد، تلك الآيات التي بينت الحق، وأوضحت براهينه ودلائله، وردت الباطل وأزهقته بالحجة الدامغة، والبراهين الساطعة.

---

(١) راجع السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٨٧.

أما تفصيل ذلك فهو كما يلي:

الموضوع الأول: ادعاؤهم ألوهية المسيح لولادته من غير أب.

ناقش النبي ﷺ نصارى نجران فيما يعتقدون بأن ولادة المسيح من غير أب هي دليل على ألوهيته.

وقد رويت روايات عديدة بشأن المناظرات حول هذه الشبهة نذكر بعضًا منها فيما يلي:-

روى ابن جرير الطبري عن الربيع في قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران :١-٢].

قال: إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ فخاصموه في عيسى بن مريم وقالوا من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

فقال لهم النبي ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن الله حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟

قالوا: بلي!

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّم على كل شيء يكلأه ويحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى!

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئًا؟

قالوا: لا!

قال: أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟

قالوا: بلى!

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئًا إلا ما عُلِّم؟

قالوا: لا!

قال: فإن ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء، فهل تعلمون ذلك؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يُحدث الحدَث؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذِّى كما يغذى الصبي، ثم كان يَطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويُحدث الحدث.

قالوا: بلى!

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

قال: فعرفوا، ثم أبوا إلا جحودا، فأنزل الله عز وجل ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران :١-٢][(١)].

وواضح من الرواية السابقة أن محور هذه المناظرة كان هو الحديث عن

(١) الطبري: جامع البيان ج ٦ ص ١٥٤ حققه: محمود شاكر راجعه أحمد شاكر ط دار المعارف (تراث الإسلام). راجع أيضًا أسباب النزول للواحدي ص ٦١، ٦٢ .

بشرية عيسى عليه السلام، وقد ساق لهم النبي ﷺ الدلائل والبراهين الواضحة الدالة على كون عيسى عبد الله ورسوله. وفند النبي ﷺ لهم شبهة أنه إله أو ابن إله لكونه ولد من غير أب.

ويبدو أن هذا الموضوع أخذ حيزًا كبيرًا من المناقشات والمناظرات لأنه أساس عقيدتهم النصرانية.

من هذه الروايات ما رواه ابن إسحاق (لما كلم الحبران - السيد والعاقب - الرسول ﷺ قال لهما رسول الله: أسلما!

قالا: قد أسلمنا.

قال: إنكما لم تسلما، فأسلما!

قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك!

قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله عز وجل ولدًا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير.

قالا: فمن أبوه يا محمد؟

فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها [١].

وقد اشتملت الآيات على الحجج الدامغة لبطلان هذه الشبهة.

وروى الطبري عن ابن عباس (أن رهطا من أهل نجران قدموا على

(١) راجع السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٧٨، تفسير الطبري ج ٦ ص ١٥٣، نهاية الأرب ج ١٨ ص ١٢٤، البلاذري: فتوح البلدان ص ٧٥ راجعه رضوان محمد رضوان. مطبعة السعادة ١٩٥٩م.

محمد ﷺ - وكان فيهم السيد والعاقب - فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟

فقال: من هو؟

قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله!

فقال محمد ﷺ: أجل، إنه عبد الله.

قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى، أو أنبئت به؟

ثم خرجوا من عنده. فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم فقال: قل لهم إذا أتوك.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩][(١)].

وعن قتادة قوله: (ذكر لنا أن سيدي أهل نجران وأسقُفيّهم: السيد والعاقب، لقيا نبي الله ﷺ فسألاه عن عيسى فقالا: كل آدمي له أب، فما شأن عيسى لا أب له؟

فأنزل الله عز وجل فيه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران :٥٩][(٢)].

وعن السدي (لما بعث رسول الله ﷺ وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم. منهم العاقب، والسيد، ومارسرجس، وماريحز، فسألوه ما يقول في عيسى، فقال: هو عبد الله وروحه وكلمته.

---

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٤٦٨ .
(٢) نفسه ج ٦ ص ٤٦٩ .

قالوا هم: لا! ولكنه هو الله، نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنسانًا خلق من غير أب؟

فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران :٥٩][(١)].

قال ابن إسحاق في معنى الآية: (فإن قالوا خلق عيسى من غير ذكر. فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحمًا، ودمًا، وشعرًا، وبشرًا. فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا) [(٢)].

فالذي خلق آدم قادر على أن يخلق عيسى بالطريق الأحرى والأولى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى لكونه مخلوقًا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى.

ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواهما في عيسى أشد بطلانًا وأظهر فسادًا، ولكن الله عز وجل أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى [(٣)].

وهذا دليل في غاية الوثوق على بطلان ما ادعاه النصارى من أن عيسى إله أو ابن إله. وهو ملزم لأنه إن قالوا: إن عيسى إله لكونه خلق من غير أب، فادعاء ذلك لآدم أولى، وإذا لم يكن آدم إلها مع أنه خلق بدون أب

---

(١) المرجع السابق ج ٦ ص ٤٧٠ .
(٢) السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٨٤ .
(٣) تفسير ابن كثير المجلد الأول ص ٣٦٧ .

وأم، فعيسى أولى أن يكون مخلوقًا من آدم.

الموضوع الثاني: ادعاؤهم ألوهية المسيح بسبب معجزاته:

يعتقد النصارى أن معجزات المسيح دليل على ألوهيته.

ويبدو أن هذه الشبهة كانت مثار جدل وموضع نقاش.

فقد روى ابن جرير الطبري عن ابن جريج عن عكرمة قوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩] قال: نزلت في العاقب والسيد من أهل نجران، وهما نصرانيان - قال ابن جريج: بلغنا أن نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي ﷺ، فيهم السيد والعاقب، وهما يومئذ سيدا أهل نجران، فقالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا؟

قال: من صاحبكما!

قالا: عيسى ابن مريم، تزعم أنه عبد!

قال رسول الله ﷺ: أجل، إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

فغضبوا وقالوا: إن كنت صادقًا فأرنا عبدًا يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه، لكنه الله.

فسكت حتى أتاه جبريل فقال: يا محمد ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة :١٧][(١)].

وقد أوضح القرآن حقيقة هذه المعجزات في قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُ

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٤٧٠ .

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :٤٨-٥٢] .

وقوله سبحانه ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة :١١٠] .

فالمسيح عليه السلام لم ينسب المعجزة إلى نفسه بل نسبها إلى الله كما هو واضح في الآيات السابقة في قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بتكوين الله تعالى وتخليقه.

(وإنما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد إزالة للشبهة وتنبيها على أنه يعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل) [١].

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ٨ ص ٦٣ .

فالخالق والمحيي في الحقيقة هو الله ولذلك لم ينسب المسيح إلى نفسه أي قدرة في فعل هذه المعجزات.

إن هذه المعجزات لا تدل على ألوهيته وإنما تدل على نبوته ورسالته ولذلك يقول الله تعالى بعد معجزات المسيح: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة :٢٤٨].

الموضوع الثالث: تأويلاتهم لوصف المسيح بأنه كلمة الله وروح منه:

ناقش نصارى نجران رسول الله ﷺ وجادلوه في معنى وصف الله لعيسى بأنه روح الله وكلمته.

لقد حاجوه وخاصموه بأن قالوا: ألست تزعم أن عيسى روح الله وكلمته؟ وتأولوا في ذلك ما يقولون فيه من الكفر [١].

قال ابن إسحاق: (عمدوا - وفد نصارى نجران - فخاصموا النبي ﷺ، قالوا: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟

قال: بلى!

قالوا: فحسبنا.

فأنزل الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران :٧] ثم إن الله جل ثناؤه أنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران :٥٩][٢].

بينت الآية الأولى أن سؤالهم فيه مغالطة وردت عليهم مفندة، إذ

---

(١) راجع تفسير الطبري ج ٦ ص ١٨٦.
(٢) المرجع السابق ج ٦ ص ١٨٦، ١٨٧.

قررت أن هناك آيات محكمات هن أم الكتاب وفيها جوهر الدعوة وأسسها التي لا تتحمل تأويلا، وهناك آيات متشابهات، فلا يتمسك بهذه ويتجاهل تلك، أو يريد أن ينقض تلك بهذه، على تأويل خاطئ، إلا من في قلبه زيغ.

لقد أورد النبي ﷺ لهم الآيات المحكمة التي تقرر بجلاء ووضوح وحدانية الله بحيث لا يجوز في حقه سبحانه أبوة ولا بنوة، ولا تعدد، ولا تجزؤ، ولا انفصال، وعليه إذا جاء في القرآن أن عيسى كلمة الله ومن روحه الذي أريد به التنويه بالمعجزة الربانية التي تمت بولادته بلا أب. فلا يصح أن يحاول بهذه نقض تلك الآيات المحكمة. فوحدانية الله أمر محكم لا يتحمل أي كلام أو تأويل [١].

فالمسيح كما وصفه القرآن كلمة الله وروح منه. وقول الله في القرآن حق، ولكن ضلال هؤلاء النصارى في تأويل هذا الوصف.

فعيسى عليه السلام مخلوق.

ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٤٥-٤٧].

فهذه الآيات تبين أن عيسى ليس كما يقول النصارى.

إن قوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران :٤٥] نكرة في الإثبات يقتضي أنه

(١) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ج ٢ ص ٢٤٣ بتصرف.

كلمة من كلمات الله وليس هو كلامه كما يقول النصارى.

وبين سبحانه مراده بقوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران :٤٥] حيث قال في الآيات التالية ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٤٧].

كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩].

وقال تعالى في سورة مريم ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم :٣٤-٣٥] فهذه الآيات كلها تبين أنه سبحانه قال له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وهذا تفسير كونه كلمة منه [١].

أما قول الله تعالى عن المسيح في سورة النساء ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾ [النساء :١٧١] فقد بين مراده أنه خلقه بـ ﴿كُن﴾ وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقًا لقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [لقمان :١١] ويقال: درهم ضرب الأمير أي مضروب الأمير، ولهذا يسمى المأمور به أمرًا، والمقدور قدرة وقدرًا، والمعلوم علمًا، والمرحوم به رحمة، كقوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب :٣٨] وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ [النحل :١].

فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب [٢].

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ج ٢ ص ٨٢، ٨٣ جمع وتقديم وتحقيق د/ محمد السيد الجليند. ط أولى دار الأنصار ١٩٧٨ م.

(٢) دقائق التفسير ج ٢ ص ٨٤، ٨٥.

أما وصف المسيح بأنه ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء :١٧١] فلا يوجب أن يكون منفصلاً من ذات الله كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية :١٣] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل :٥٣] .

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء :٧٩] .

وقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة :١-٢] .

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة، وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم وهي مخلوقة [(١)] .

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى أن يكون مخلوقًا.

فإذا كان الأصل مخلوقًا فكيف الفرع الذي حصل به؟

وخص المسيح بأنه «روح منه» لأنه نفخ في أمه من الروح فحبلت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأنها حبلت به من نفخ الروح فلهذا سمي روحًا منه [(٢)] .

ولهذا قال طائفة من المفسرين [(٣)] «روح منه» أي رسول منه، فسماه

---

(١) ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ، وقوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] وقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

(٢) دقائق التفسير ج ٢ ص ٨٦-٨٨ .

(٣) قال ابن كثير في معنى الآية (إنما هو - أي المسيح عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له كن فكان، ورسول من رسله). وقال (﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء :١٧١] أي ورسول منه وهو الأظهر، فالمسيح مخلوق من روح مخلوقة وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف :٧٣] وفي قوله ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج :٢٦]) ا هـ. تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٠ .

باسم الروح - الذي هو - الرسول الذي نفخ فيها، فكما يسمى «كلمة» يسمى «روحا» لأنه كون بالكلمة، لا كما يخلق الآدميون غيره، ويسمى روحًا لأنه حبلت به أمه بنفخ الروح الذي نفخ فيها، ولم تحبل من ذكر كغيره من الآدميين، وعلى هذا فيقال: لما خلق من نفخ الروح من مريم سمي روحًا، بخلاف سائر الآدميين فإنه يخلق من ذكر وأنثى ثم ينفخ فيه من الروح [١].

الموضوع الرابع: الإشارة الى اعتقادهم بصلب المسيح:

ربما تكون المناظرات قد تطرقت إلى دعواهم بأن المسيح صلب فقد روى ابن جرير الطبري عن ابن إسحاق في معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

(الحي) الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصلب في قولهم يعني في قول الأحبار الذين حاجوا رسول الله ﷺ من نصارى أهل نجران [٢].

فكيف يكون المسيح إلها وهو قد مات وصلب في ادعائهم؟ فالموت والفناء يجوز على البشر ولا يجوز على الله تعالى. فالله حي لا يموت، والمسيح عبد الله ورسوله، الذي نجاه من مكر الأعداء، وكيد اليهود. فلم يصلب ولم يقتل ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران :٥٤].

وقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء :١٥٧].

من مناقشات القرآن للموضوعات المثارة في الجدال

إن الآيات القرآنية التي نزلت على رسول الله بسبب وفد نصارى نجران - وهي من أول سورة آل عمران حتى بضع وثمانين آية فيها - اشتملت

(١) دقائق التفسير ج ٢ ص ٨٦-٨٨ .
(٢) راجع تفسير الطبري ج ٦ ص ١٥٦، السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٧٩ .

على أغراض عدة منها مناقشتها لعقيدتهم، والتعرض لشبههم ومفترياتهم، وبيان زيفها وبطلانها، والناظر في تلك الآيات يجد أن الله بين في أول هذه السورة وجوها من الدلائل القاطعة على فساد اعتقاد النصارى بألوهية المسيح، ثم ذكر عقاب المنكرين لهذه الدلائل، وأتبع بذكر الجواب عن شبههم، ثم بيان الأسباب المانعة لهم من اتباع الحق بعد ظهور دلائله.

ثم شرع القرآن الكريم بعد ذلك في إثبات العقيدة الإسلامية، ودعوة النصارى إليها، وتخلل ذلك الحديث عن حقيقة عيسى عليه السلام.

وسوف نتناول بعض هذه الأمور باختصار فيما يلي:

بينت الآيات في افتتاحية سورة آل عمران بطلان عقيدة النصارى.

قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ٢] أخبر الله عباده أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية وتوحده بالألوهية، وأن كل ما دونه فملكه، وأن كل ما سواه فخلقه لا شريك له في سلطانه وملكه [(١)] فبين الله سبحانه وتعالى أن أحدًا لا يستحق العبادة سواه وهذا رد على النصارى لأنهم يقولون بعبادة عيسى عليه السلام [(٢)].

قوله تعالى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] رد عليهم أيضًا في قولهم بأن المسيح ابن الله لأن الحي القيوم يستحيل أن يكون له ولد.

يقول فخر الدين الرازي: (ثبت أن الإله يجب أن يكون حيًا قيومًا، وثبت أن عيسى ما كان حيًا قيومًا لأنه ولد، وكان يأكل، ويشرب،

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ١٤٩.
(٢) مفاتيح الغيب مج ٣ ج ٧ ص ١٣٠.

ويحدث، والنصارى زعموا أنه قتل، وما قدر على دفع القتل عن نفسه، فثبت أنه ما كان حيًّا قيومًا، وذلك يقتضي القطع والجزم بأنه ما كان إلهًا. فهذه الكلمة وهي قوله ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى في التثليث) [١].

وبعد هذه الدلائل الباهرة حذرهم الله سبحانه وتعالى من العذاب الشديد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران :٤]. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم الذين جحدوا آيات الله، وهي أعلام الله وأدلته وحججه.

يقول الطبري (إن الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهيته، وأن عيسى عبد له، واتخذوا المسيح إلها وربا، أو ادعوه لله ولدا، لهم عذاب من الله شديد يوم القيامة) [٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران :٥] يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض، ولا شيء هو في السماء، أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون في عيسى. إذ جعلوه ربا وإلها، وعندهم من علمه غير ذلك غرّة بالله وكفرا به [٣].

وبعد أن بين الله بالبراهين بطلان عقيدة النصارى وفسادها، بتقرير أن عيسى ما كان إلها، وما ينبغي له أن يكون إلها، ولذلك لا يستحق

---

(١) نفسه ص ١٢٩ .
(٢) تفسير الطبري ج ٦ ص ١٦٤ .
(٣) نفسه ج ٦ ص ١٦٦ .

العبادة، شرع في الرد على شبههم التي يتمسكون بها، والتي من أهمها تلك الشبه المتعلقة بولادة المسيح من غير أب، وقدرته على إحياء الموتى.

أجاب الله سبحانه وتعالى عن هاتين الشبهتين بقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :٦] .

يعني بذلك جل ثناؤه: الله الذي يصوركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب، فيجعل هذا ذكرا، وهذا أنثى، وهذا أسود، وهذا أحمر.

يعرف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليهم أرحام النساء، فممن صوّره وخلقه كيف شاء، وأن عيسى ابن مريم ممن صوره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحب، وأنه لو كان إلها لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه، لأن خلاق ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة، وإنما تشتمل على المخلوقين.

لقد كان عيسى ممن صور في الأرحام، لا يدفعون بذلك ولا ينكرونه، كما صور غيره من بني آدم.

فكيف يكون إلهًا، وقد كان بذلك المنزل؟ [١].

أما الشبه المتعلقة بقدرة عيسى على إحياء الموتى فيجاب عنها بهذه الآية أيضًا:

والمعنى أن حصول الإحياء والإماتة على وفق قول المسيح عليه

(١) المرجع السابق ص ١٦٦، ١٦٧ .

السلام في بعض الصور لا يدل على كونه إلها، لاحتمال أن الله تعالى أكرمه بذلك الإحياء إظهارا لمعجزته وإكراما له.

أما العجز عن الإحياء والإماتة في بعض الصور فيدل أيضًا على عدم الإلهية، وذلك لأن الإله هو الذي يكون قادرًا على أن يصور في الأرحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب، ومعلوم أن عيسى عليه السلام ما كان قادرًا على الإحياء والإماتة على هذا الوجه، وكيف ولو قدر على ذلك لأمات أولئك الذين أخذوه - على زعم النصارى- وقتلوه؟

فثبت أن حصول الإحياء والإماتة على وفق قوله في بعض الصور لا يدل على كونه إلها.

وعدم حصولها على وفق مراده في سائر الصور يدل أيضًا على أنه ما كان إلها [1].

أما شبهة التمسك بأن المسيح وصف في القرآن بأنه كلمة الله وروح منه فرد عليها القرآن بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد بينا سابقا وجه الرد على النصارى على هذه الشبهة من تلك الآيات وغيرها.

ثم ذكرت الآيات أن حب الشهوات من الأموال والأولاد والجاه هو

(١) مفاتيح الغيب مج ٣ ج ٧ ص ١٣٥، ١٣٦.

المانع لهم من اتباع الحق بعد معرفتهم به، مع أن ما عند الله خير وأبقى وأعظم للمؤمنين المستغفرين الصابرين الصادقين.

يقول الله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران :١٠-١١] .

يرى بعض المفسرين أن المراد بالآيتين وفد نصارى نجران ذلك لأنه روى أن أبا حارثة بن علقمة قال لأخيه: إني لأعلم أنه رسول الله حقًّا ولكنني إن أظهرت ذلك أخذ ملوك الروم مني ما أعطوني من المال والجاه - وقد ذكرنا هذه الرواية بالتفصيل سابقًا - ولذلك رد الله عليهم وبين لهم أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة [١].

ثم بينت الآيات بعد ذلك متع الحياة الزائلة، وكيف أن النصارى يتمسكون بها ويعرضون عن الحق مع أنه خير وأبقى يقول سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران :١٤-١٧]

هذه الآيات فيها إشارة إلى هؤلاء الذين عرفوا صدق الرسول ﷺ غير

(١) انظر المرجع السابق مج ٣ ج ٧ ص ١٥٢ .

أنهم لا يؤمنون به خوفًا على المال والجاه. فبين الله تعالى أن هذه الأشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة باطلة، وأن الآخرة خير وأبقى، وأن ما عند الله خير وأعظم.

وربما تكون هذه الآيات إشارة أيضًا إلى هيئة هذا الوفد فقد ذكرت الروايات - كما سبق أن بينا - أنهم جاءوا إلى الرسول ﷺ وهم يلبسون الحلل والخواتيم، والذهب، وفي الآيات إشارة إلى حبهم الدنيا وزينتها، وشهواتها المختلفة، وبيان أن ما عند الله خير وأبقى.

ثم رد الله عليهم زعمهم بأنهم يعبدون المسيح حبًّا لله فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

روى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: هذه الآية نزلت في نصارى نجران وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح ونعبده حبًّا لله وتعظيمًا له فأنزل الله تعالى هذه الآية ردًّا عليهم[1].

يقول الطبري: (فتأويل الآية: قل يا محمد للوفد من نصارى نجران: إن كنتم تزعمون أنكم تحبون الله. وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون حبًّا منكم ربكم، فحققوا قولكم الذي تقولونه إن كنتم صادقين باتباعكم إياي، فإنكم تعلمون أني رسول الله إليكم، كما كان عيسى رسولا إلى من أرسل إليه، فإنه إن اتبعتموني وصدقتموني على ما أتيتكم به من عند الله يغفر لكم ذنوبكم، فيصفح لكم عن العقوبة عليها، ويعفو لكم عما مضى منها، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم

(١) أسباب النزول ص ٦٦، الطبري ج ٦ ص ٣٢٣.

وبغيرهم من خلقه) [١].

ثم ذكرت الآيات الحقائق الإيمانية والمبادئ الإسلامية التي يجب على النصارى الإيمان بها، والإذعان بقبولها. اتباعًا للحق ونبذا للهوى، ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي: -

الحقيقة الأولى: الإسلام دين الله المنزل على رسله:

نوهت الآيات بحقيقة الإسلام، وأشارت إلى أنه دين الله الذي ارتضاه لنفسه، الذي بعث الله به الأولين والآخرين، ولا يقبل من أحد دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] .

وقال سبحانه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران :٨٥] .

كما أكد القرآن في سوره وآياته - غير الآيات التي هي موضع الاستشهاد والبحث هنا - أن الإسلام هو دين الأنبياء والرسل وأتباعهم [٢].

الثانية: عقيدة التوحيد:

فصلت الآيات أركان الإسلام وأولها عقيدة التوحيد.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] .

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :٦] .

---

(١) المرجع السابق ج ٦ ص ٣٢٤ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٨١-٨٤ .

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :١٨] .

وقال سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران :٢٦-٢٧] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران :٥١] .

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :٦٢] .

ودعت الآيات أهل الكتاب إلى الإيمان بالله وحده.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :٦٤] .

وحذرت الآيات من الكفر وبينت أن عاقبته العذاب الشديد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران :٤] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران :١٠-١٢] .

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران :١٩] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عمران :٢١-٢٢] .

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران :٣٢] .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عمران :٥٦] .

الثالثة: دعوتهم الى الايمان بالنبي محمد ﷺ وبالكتاب المنزل عليه

دعت الآيات نصارى نجران إلى الإيمان بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم الذي أنزله الله عليه. قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ۖ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران :٣-٤] .

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ﴾ [آل عمران :٧] .

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران :٢٠] .

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ﴾ [آل عمران :٣١-٣٢] .

ويقول جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران :٨١] .

الرابعة: حقيقة عيسى وكونه عبد الله ورسوله:

تحدثت الآيات عن عيسى وولادته من السيدة مريم. ومهدت لذلك بالحديث عن زكريا ووهب الله له ابنه يحيى، رغم أنه قد بلغ من الكبر عتيا وامرأته عاقر، لبيان قدرة الله في الخلق، وأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يتقيد في خلقه بالأسباب.

نجد هذا في الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران :٣٣] إلى قوله سبحانه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :٦٢] .

وفي ثنايا هذه الآيات نقرأ قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران :٤٥-٥١] .

الخامسة: بالإضافة الى هذا فإن الآيات أشارت الى عقائدهم وكتبهم التي بايديهم:

فبينت أنهم حرفوا وغيروا وبدلوا دين الله المنزل على عيسى وكتابه الإنجيل قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران :٧٠-٧١] .

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران :٢٣-٢٥] .

وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران :٦٥-٦٧] .

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران :٧٨] .

بعض الأساليب القرآنية المستخدمة في هذه المناظرات

استخدام القرآن كل ما من شأنه تفهيم القوم وإقناعهم بأنواع من الدلائل والبراهين، واستعمل لذلك ألوانًا من الأساليب التي من شأنها التفسير، والتوضيح، والكشف، بل والإقرار والاستنطاق لإقامة الحجة عليهم، وإلزامهم، وقطع أعذارهم.

إن الأساليب التي استخدمها القرآن لمناقشة نصارى نجران وغيرهم هي غاية في الإيضاح.

فلم يترك القرآن وسيلة من الوسائل التي قد تكون سببا في إقناع القوم إلا وأبانها، واستعملها لبيان الحق وتوضيحه، حتى لا يستبهم عليهم شيء، ولا يستغلق عليهم أمر. لقد أوضح القرآن لهم الدلائل، وبين لهم الحجج، وأعانهم على الفهم والاستيعاب والاقتناع بكل الوسائل الممكنة. ولم يترك لهم مجالا للإنكار، لكنهم لم يحسنوا الانتفاع فأصروا على غيهم وإنكارهم.

وسنذكر فيما يلي بعض هذه الأساليب

الاستقصاء التام:

هذا لون من ألوان البلاغة ولذلك قال عنه أهل هذا العلم (المنطق هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفا لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل البيان أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء) [١].

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ص ٢٠٩ تحقيق مفيد قميحة. ط ثانية دار الكتب العلمية. ١٩٨٤ م بيروت.

والغاية منه (إيضاح المعنى، أو ليتمكن المعنى في النفس فضل تمكن، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه) [١].

يقول أبو هلال العسكري (ولا شك في أن الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة، والفتوح الجليلة، وتفخيم النعم الحادثة، والترغيب في الطاعة، والنهي عن المعصية، سبيلها أن تكون مشبعة، مستقصاة، تملأ الصدور، وتأخذ بمجامع القلوب) [٢].

ولله المثل الأعلى فإن خطاب الله في هذه الآيات التي نزلت على رسوله بسبب وفد نصارى نجران فيها هذا الاستقصاء، وذلك الإشباع حتى لا يكون لهم حجة.

ولذلك يقول العسكري أيضًا: (إن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطًا، فمما خاطب به أهل مكة قوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج :٧٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون :٩١][٣].

---

(١) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٩٦ ط أولى. دار الكتب العلمية ١٩٨٥ م بيروت، راجع أيضًا السكاكي: مفتاح العلوم ص ٢٧٦-٢٨٤ تعليق نعيم زرزور. ط ثانية. دار الكتب العلمية ١٩٨٧ بيروت.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢١٠.

(٣) هذا جزء آية من قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق :٣٧][(١)] ، في أشباه لهذا كثيرة. . . وقل ما تجد قصة لبني إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم كان، وتأخر معرفتهم) [(٢)] وأيضًا لتحكم الهوى وسيطرته عليهم، ولشدة تعصبهم، بل ولحسدهم، وبغضهم الحق.

وفي الآيات التي نتحدث عنها - وهي من سورة آل عمران - نجد أن الله بين في أول هذه السورة وجوها من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بألوهية المسيح وأتبعها بذكر الجواب عن جميع شبههم على سبيل الاستقصاء التام فلم يترك شبهة من شبههم إلا وناقشها ودحضها وأورد الدلائل والآيات والحجج والبراهين على فسادها وبطلانها وختم هذا بهذه النكتة القاطعة لفساد كلامهم وهي المباهلة [(٣)].

التعريض والتصريح:

التعريض: هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي. فإن الرجل إذا قال لمن يتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعًا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازًا، إنما دل عليه عن طريق المفهوم، وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقول الرجل للمرأة: إنك لخلية وإني لعزب، فإن مثل هذا لا يدل

(١) هذا جزء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٢ .

(٣) راجع مفاتيح الغيب مج ٤ ج ٨ ص ٨٦ .

على طلب النكاح حقيقة ولا مجازًا [١].

أما التصريح فهو المعنى المفهوم من الكلام وتدل عليه الألفاظ دلالة حقيقة.

(والتعريض يتفق مع الكناية في أن كلا منهما معنى يفهم من الكلام ولا تدل عليه الألفاظ دلالة حقيقية) [٢] غير أن التعريض يختلف عن الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنما سمي التعريض تعريضًا لأن المعنى فيه يفهم من عُرْضه أي من جانبه، وعُرْض كل شيء جانبه [٣].

فالتعريض معنى يفهم من عرض الكلام وجانبه وسياقاته وقرائن أحواله، فالتلازم بين المعنى التعريضي والمعنى الحقيقي للألفاظ يرجع إلى المواقف الخاصة التي يقال فيها الكلام.

أما التلازم بين المعنى المُكَنى به والمعنى المكنى عنه فمرجعه إلى العرف والعادات وطبائع الأشياء وخصوصيات الأفعال.

هذا بالإضافة إلى أن التعريض لا يأتي إلا في التراكيب، ولا يمكن أن يدل عليه اللفظ المفرد وذلك لاحتياجه في الدلالة إلى اللفظ المركب، أما الكناية فتأتي في المفرد وفي المركب [٤].

---

(١) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر القسم الثالث (ص ٥٦، ٥٧) تحقيق د/ أحمد الحوفي. د/ بدوي طبانة. مكتبة نهضة مصر ط أولى ١٩٦٣م القاهرة.

(٢) د/ بسيوني عبد الفتاح بسيوني: علم البيان ص ١٥٨ . مطبعة السعادة ط أولى ١٩٨٨م القاهرة.

(٣) المثل السائر ص ٥٧ .

(٤) علم البيان ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

والغرض من التعريض إلزام الحجة، والتقريع، والاستهزاء، والإنكار.

ومن أمثلة التعريض قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء :٦٢-٦٣] ، وغرض إبراهيم عليه السلام من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم.

لأنه قال: فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وذلك على سبيل الاستهزاء، وهذا رمز من رموز الكلام، والقول فيه أن قصد إبراهيم عيه السلام لم يرد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقديره لنفسه وإثباته على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم [١].

ومن أمثلة التعريض في الآيات موضع البحث قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :٦] ، وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق كما خلق الله سائر البشر، لأن الله صوره في الرحم وخلقه كما يشاء. فكيف يكون إلها كما زعمته النصارى وقد تقلب في الأحشاء وتنقل من حال إلى حال [٢] كما قال تعالى ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر :٦] والغرض منه إلزام النصارى الحجة وإنكار ما يقولون بأسلوب يدعو إلى التفكير والتأمل.

الاستفهام:

الاستفهام طلب الفهم.

---

(١) المثل السائر القسم الثالث ص ٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٤٢ .

واستفهام التقرير: حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده [١] يقول تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران :٢٠] .

قوله تعالى: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾ [آل عمران :٢٠] استفهام معناه التقرير والمقصود منه الأمر أي أسلموا [٢] وإنما جاء بالأمر في صورة الاستفهام لأنه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء إليه، إلا أن في التعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة زائدة وهي التعبير بكون المخاطب معاندا بعيدًا عن الإنصاف، لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة لم يتوقف بل في الحال يقبل، ونظيره قولك لمن لخصت له المسألة في غاية التلخيص والكشف والبيان: هل فهمتها؟ فإن فيه الإشارة إلى كون المخاطب بليدا قليل الفهم [٣].

فالاستفهام هنا للتقرير

والغرض في استخدامه في معرض مناقشة وفد نصارى نجران ما يلي:

أ - الأمر ولذلك قال الله تعالى بعد الاستفهام ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ﴾ [آل عمران :٢٠] .

يقول الطبري: (فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ﴾

---

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية - بيروت.

(٢) راجع تفسير الطبري ج ٦ ص ٢٨١، تفسير القرطبي ج ٤ ص ٤٥، تفسير الرازي مج ٤ ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٣) تفسير الرازي مج ٤ ج ٧ ص ٢٣٠ .

عقيب الاستفهام؟ وهل يجوز على هذا في الكلام أن يقال لرجل: هل تقوم؟ فإن تقم أكرمك؟

قيل: ذلك جائز إذا كان الكلام مرادا به الأمر وإن خرج مخرج الاستفهام كما قال جل ثناؤه ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة :٩١] يعني انتهوا [١].

ب - إظهار عنادهم وإصرارهم على الباطل حتى بعد وضوح دلائل الحق وإقامة البراهين على صحته. مما يعني عدم الإنصاف وعدم الالتزام.

القياس:

القياس أحد أصول الشريعة الذي لا يستغنى عنه فقيه، وقد أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع في كتابه - كما يقول ابن القيم - فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلا والثانية فرعًا عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات، وقاس الخلق الجديد الذي أنكره أعداؤه على خلق السماوات والأرض، وجعله من قياس الأولى، كما جعل قياس النشأة الثانية على الأولى من قياس الأولى، وقاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم، وضرب الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية يُنبِّه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله) [٢].

---

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٢٨١ .

(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٣٠ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ١٩٨٧م بيروت.

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة وهذا الأسلوب في محاجة أهل الكتاب ففي الآيات التي نزلت على النبي ﷺ بسبب وفد نصارى نجران قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٥٩] .

يقول الطبري - في تعليقه على هذه الآية - هي دليل على صحة القياس [(١)].

وقد رأى ابن القيم أنها من باب قياس العلة. ومعنى الآية بناءً على هذا: أن الله تعالى أخبر أن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعًا لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم؟ ووجود حواء من غير أم؟ فآدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به [(٢)].

بينما رأى الشيخ أبو زهرة أن هذه الآية من باب القياس الإضماري وهو القياس الذي يحذف فيه إحدى المقدمات حيث يقول (ألا ترى في هذا دليلاً قويًا مبطلاً لما يدعون، وفي الوقت نفسه لم تذكر فيه سوى مقدمة واحدة، وهي إثبات مماثلة آدم لعيسى وطوى ما عداها، وكأن سياق الدليل هكذا: إن آدم خلق من غير أب كعيسى، فلو كان عيسى ابنا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس ابنًا باعترافكم، فعيسى ليس ابنًا أيضًا) [(٣)].

---

(١) تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٠٢ .
(٢) إعلام الموقعين ج ١ ص ١٣٤ .
(٣) تاريخ الجدل ص ٦٤ .

وهذا النوع من الحذف يعطي الدليل فصاحة وبيانًا [١].

يقول ابن أبي العز الحنفي (وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقًا عليها استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها والطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف وهي طريقة القرآن) [٢].

وعلى أي حال فإن الغرض من استخدام هذه الطريقة في مجادلة القوم بيان تمام قدرة الله سبحانه وتعالى وقطع أعذار هؤلاء وإلزامهم الحجة. خاصة وأن التساوي بين المتماثلين من الأمور المركوزة في فطر الناس.

وهكذا فإن القرآن عمل على إقناع القوم بكل وسائل الإقناع، وهيأ لهم ذلك باستخدام الأساليب المختلفة التي من شأنها أن تعينهم على قبول الحق والإيمان به، فالاستقصاء، والتعريض، والتصريح، والاستفهام، والقياس، وغيرها كلها وسائل وأساليب ودلائل إقناعية إلزامية.

نتائج المناظرات

جادل القوم النبي ﷺ وناظروه، وأوضح لهم النبي ﷺ بالحجة والبرهان بطلان ما يعتقدون من أن المسيح ابن الله، ولكنهم كانوا يمارون في الضلالة.

تعنتوا، وتعصبوا، ولم يسلموا بفساد ما يؤمنون به، ولم يقروا بأخطائهم رغم ظهور الدلائل، لم يلتزموا بأدب المناظرة الذي يحتم على المناظر أن يسلم بخطئه إذا ظهر له ذلك. لم يلتزموا بموضوعية الحوار

(١) الحوار مع أهل الكتاب ص ١٩٠ .

(٢) ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٢٧ . تحقيق أحمد محمد شاكر. مكتبة دار التراث - القاهرة.

التي توجب على المحاور أن يكون أمينا وموضوعيا في حواره، ويقر بعدم صحة ما ذهب إليه إذا تبين له ذلك.

لم يلتزموا الحسنى في الجدل تلك التي توجب عدم الإصرار على الخطأ بعد ظهور الحق استمر القوم في جدالهم ولجاجتهم رغم وضوح الحجج، وظهور البراهين على زيف شبههم حول المسيح.

لقد ظهر ضعف مسلكهم، وتهافت آرائهم، ووهن شبههم، وسقوط حججهم.

لم يكن عندهم من الشجاعة الأدبية، والقوة النفسية التي تجعلهم يقرون بصحة الإسلام، ويؤمنون بدعوة النبي ﷺ.

أظهروا جهلهم، وضعفهم حينما أغلقوا قلوبهم، وعقولهم حتى لا يسلموا بالدين الصحيح، والفكر القويم القائم على الدليل المبين، والحجة الدامغة، والبراهين الساطعة.

يقول ابن جرير: (من اتخذ دون مالكه وخالقه إلها وربا فهو مقيم على ضلالة، ومنعدل عن المحجة، وراكب غير السبيل المستقيمة بصرفه العبادة إلى غيره، ولا أحد له الألوهية غيره) [١].

عاند القوم وأصروا على غيهم وامترائهم لدرجة أن النبي ﷺ كره رؤيتهم.

أخرجه ابن جرير الطبري عن عبد الله بن الحارث الزبيري أنه سمع النبي ﷺ يقول: ليت بيني وبين أهل نجران حجابًا، فلا أراهم ولا

---

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ١٥٠.

يروني! من شدة ما كانوا يمارون النبي ﷺ [١].

التزم النبي ﷺ معهم الأدب الإسلامي في الجدال الوارد في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل :١٢٥] أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب [٢].

والوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت :٤٦] أي بالخصلة التي هي أحسن، وبذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة :١٥٠] بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم [٣].

لم يلتزم القوم بأدب المناظرة وتماروا فتمنى النبي ﷺ أن يكون بينه وبينهم حجابًا. ظهر لهم الحق بالحجة والبرهان - وماذا بعد الحق إلا الضلال- ومع ذلك أصروا على ضلالهم (ولذلك أمر الله نبيه بأن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى عليه السلام بعد ظهور البيان) [٤].

وهذا هو موضوع الفصل التالي.

* * *

(١) نفسه ج ٦ ص ٤٧٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩١ .
(٣) محمد بن علي الشوكاني: فتح القدري ج ٤ ص ٢٠٥ ط ثانية ط مصطفى الحلبي ١٩٦٤م.
(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٥٢ .